المحاضرة الخامسة:

المنهج العلمي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

الأهداف التدريسية :

- التمهيد للأهمية استخدام المنهج العلمي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

المحتويات :

1. العلوم الإنسانية والمنهج العلمي
2. استخدام المنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية
3. أسئلة للمناقشة

1. العلوم الإنسانية والمنهج العلمي :

أثار موضوع خضوع العلوم الإنسانية لقواعد المنهج عدة اشكالات معرفية و منهجية ، بفعل عدم تجانس و ثبات الظاهرة الإنسانية وبالتالي صعوبة استخدام التجريب في دراستها نظرا لاتصالها بالإنسان موضوع الدراسة، من جهة أخرى، ساهم النقاش حول استخدام المنهج في العلوم الانسانية الى بروز الاتجاه القائل بخصوصية العلوم الإنسانية و بالتالي بخصوصية مناهجها التي تختلف جملة و تفصيلا عن تلك المستخدمة في العلوم الطبيعية، ويمكن رد ذلك الى الأسباب التالية:

أ- تعقيد الظواهر الإنسانية: تتعلق الظاهرة الإنسانية بعناصر متعددة ومعقدة، مثل العناصر الجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية بالإضافة إلى المعتقدات والعادات والأعراف من خلال كل ذلك يجد الباحث نفسه في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية أمام تنوع كبير ومتغيرات كثيرة تتدخل الظاهرة الإنسانية ويزيدها تعقيدا.

وإذا كان من خصائص العلم هو السببية والتعميم بالنسبة كنتائج التي تنتج من نفس الأسباب فإن الأمر بالنسبة للعلوم الإنسانية معقد جدا، لدرجة أننا نجد صعوبة كبيرة في تحديد هذه الأسباب بالكامل.

ب-عدم تجانس الظاهرة الإنسانية: يقوم البحث العلمي على فرضية التجانس أو فرضية وحدة الطبيعة، والظواهر الطبيعية نتيجة تشابه بعضها يمكن تقسيمها إلى فئات متجانسة واستخراج القوانين التي تحكم كل فئة على حدا. لكن الظواهر السلوكية ظواهر فردية ويصعب تكرارها ومن ثم من الصعب أن نحصل على تعميمات.

ج- ديناميكية الظواهر السلوكية: نتيجة لسرعة تغير الظاهرة الإنسانية والسلوكية، فإن الباحث قد يجد صعوبة اخضاعها للدراسة في حالتها الراهنة.

د-عدم القدرة على استخدام التجريب في مجال الظاهرة الإنسانية: يصعب تطبيق التجربة ،التي تعتبر أهم ركائز البحث العلمي، على الظاهرة الانسانية بحكم طبيعتها المعنوية غير ملموسة.

هـ- صعوبة التقيد بضوابط الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية: إن الموضوعية هي من خصائص العلم والبحث العلمي وقد يحاول الباحث في مجال العلوم الإنسانية أن يتقيد بضوابطها.

2. استخدام المنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية:

تتمثل أبرز اشكالات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية أساسا في فكرة "العلمية"، وهي ناتجة عن إمكانية إخضاع الظواهر الاجتماعية الإنسانية للمنهج العلمي.

وقد برز في هذا الصدد اتجاهان رئيسيان، يذهب الأول منهما إلى إمكانية الدراسة العلمية للمجتمع بمختلف ظواهره، بينما يؤكد الثاني على استحالة ذلك، فالاتجاه الأول ذهب إلى أن إخضاع الظواهر الاجتماعية للدراسة العلمية من خلال الاستعانة بالمنهج العلمي المستخدم في حقل

العلوم الطبيعية سيقود إلى استيعاب أكثر دقة وشمولا لهذا النوع من الظواهر، وكذا إلى فهم جيد لها، وتطوير أنساق للتفسير والتنبؤ أكثر عمقا، وإذا كنا أقل تفاؤلا وسلمنا بأنه يصعب علينا التوصل إلى أسلوب يمكننا من التنبؤ بالظاهرة، فإن الفهم والتفسير الجيد لها سينمي مستقبلا معارف جديدة قد تقود إلى آفاق علمية أكثر رحابة. وبالتالي بدل أن تبقى الظواهر الإنسانية أسيرة للانطباعات الذاتية، والتصورات الشخصية، والأحكام العامة، فلنخضعها للمنهج العلمي.

وفي المقابل يذهب أصحاب الاتجاه الثاني إلى أن الظاهرة الإنسانية على درجة كبيرة من التعقيد والخصوصية تمتنع معها كل محاولة إخضاع للمنهج العملي بطبعته المعروفة في العلم الطبيعي، ذلك الذي يقوم في أخص خصائصه على الملاحظة والتجريب المعملي. إن هذا التباين في الرأي ناتج في الغالب عن جملة من القضايا والإشكالات التي صاحبت نشأة العلوم الإنسانية وتطورها التاريخي.وعلى أساس ما تقدم يمكن عرض تصورات الاتجاهين المختلفين على النحو التالي:

- <u>التصور الذي يؤكد علمية العلوم الإنسانية ويطبق عليها مناهج العلوم الطبيعية:</u> وقد أثمر هذا التصور أزمة في حقل العلوم الإنسانية.

إن هذا المسلك قد حصر دراسة الظاهرة الاجتماعية والإنسانية في جوانبها الملموسة (السلوك الواقعي) وأهمل أخص خصائص هذه الظواهر وهي الوعي والاختيار. اذ يؤكد على ضرورة أن تحذو مناهج العلوم الانسانية حذو مناهج علم الطبيعة من حيث اهتمامها بالتجريب والقياس الدقيق، و يقول بعدم وجود فوارق جوهرية بين الظواهر الطبيعية والسلوك الاجتماعي وأن كليهما يمكن دراسته بالدرجة نفسها من الموضوعية التي يدرس بها الآخر.

وقد تجلى تأثر أنصار هذا المسلك بهذا التصور في جهودهم البحثية الكثيرة، تلك التي تمحورت حول الولع بعقد المقارنات والمماثلات العضوية بين الطبيعة والمجتمع، أو بين الكائن الإنساني والكائن البيولوجي...واستعارة المفاهيم والمصطلحات الحيوية والفيزيائية واستخدامها في دراسة وتفسير ظواهر المجتمع الإنساني.

- <u>التصور الذي يؤكد علمية العلوم الإنسانية ولكن يطرح تصورا جديدا لمفهوم العلمية:</u> وقد بدأ هذا التصور في التبلور بعد الأزمة التي عرفتها العلوم الإنسانية، إذ أصبح الكثير من العلماء يعترفون بالاختلافات الواضحة بين الظواهر الطبيعية من جهة و الظواهر الانسانية من جهة ثانية

، على أساس أن الأولى هي موضوعات دراسية تسعى للوصول إلى قوانين عامة حول ظواهر تتصف بصفات خاصة كالتكرار والاطراد ويمكن توقعها، أما الثانية (الظواهر الانسانية) فهي موضوعات علمية تسعى لإدراك الخصائص الفردية لموضوعاتها.

إن الإقرار بوجود اختلافات بين ظواهر الكون المادي وظواهر الاجتماع الإنساني يستلزم إقرارا باختلاف المنهج والأدوات من حيث التي تستخدم في دراسة هذين القطاعين المتمايزين .

وهكذا نصل إلى نتيجة مؤداها: أن نفي إمكانية استخدام المنهج العلمي (بطبعته التجريبية) والنموذج الطبيعي في نطاق العلوم الاجتماعية والإنسانية، لا ينفي صفة العلمية عن هذه الأخيرة، لأن استخدام المنهج التجريبي و"اصطناع اللغة الرياضية في صياغة الفروض والاستدلالات والأنساق العلمية ليس في حد ذاته هدفا، بل هو وسيلة الضبط، والتي تواءمت تواؤما كاملا مع موضوع الفيزياء، ودرجة تقدمها، ولكن إن تعذر عليها التواؤم مع موضوع البحث (في العلوم الانسانية) وأمكن تحقيق الضبط لدرجة كافية بوسائل أخرى فلا ينبغي أن نتشبث بالوسيلة (اللغة الرياضية) إلى الدرجة التي تلهي عن الغاية".

أسئلة للمناقشة :

- حدد أبرز صعوبات تطبيق المنهج في دراسة الظاهرة الانسانية .
- حدد مواقف أبرز الاتجاهات من تطبيق المنهج في دراسة الظاهرة الانسانية